سلسلة قصص الوحي والسيرة

حكايات الوحي والسيرة

محمد حسين

دار المدائن للنشر والتوزيع

الطبعــة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م



مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه ... وبعد ...

تحت ضياءات القرآن ، ومن نبع الإيمان ، عاش المؤمنون يلتقطون الحكمة من فم النبى ﷺ ، وهو يدفعهم بين الحين والحين إلى وعى العمل ، وتوفيق الحركة ، وسداد السلوك ، وأكمل الأخلاق ، وذلك عن طريق الأسلوب القصصى النبوى المؤثر ، ولم تكن القصة تروى لتسلية تتحقق ، أو تسرية تتكوّن ، وإنما كانت تحمل فى طياتها دروسًا وعبرًا ، ومن وراء حكمتها البالغة جاءت الحكايات نافعة ودافعة ، وقد وعاها كل ماهر وبصير ، من جيل الأصحاب الفذ الفريد ، وهى كذلك لكل من ارتسم خطى هذا الجيل وسار على نهج الحبيب المربى ﷺ ، ومن هؤلاء الذين إن رأيتهم ذكّرك بالجيل الفريد ، وإن عايشته تنسمت نسائم عاطرات ، وتقلبت مع حسن عرضه وجميل إحساسه بين سلوك

التابعين وأخلاق السلف الصالحين وحركة الإخوان المصلحين .. مؤلف هذه الحكايات .

فجاءت الحكايات ومن ورائها التعقيب بالفوائد ، ترسم منهجًا ، وتربى سلوكًا ، وتدفع إلى العمل ، من مشكاة الوحى والسيرة .

وهى سلسلة فى أجزاء ، وبين يديك أخى القارىء الكريم الجزء الأول ، يليه الجزء الثانى إن شاء الله ...

نسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها الأستاذ / محمد حسين خيرًا ، وأن يعم بها النفع ... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ....

دار المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ أصحاب الغار الثلاثة :

عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول :

انطلق ثلاثة نفر ممّن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللّه تعالى بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالاً ، فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أُرِحْ عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدميّ فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلىّ ، وفى رواية : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فأردتها على نفسها فامتنعت منى ، حتى ألمّتْ بها سنة من السنين ، فجاءتنى ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّى بينى وبين نفسها ففعلتْ ، حتى إذا قدرتُ عليها . وفى رواية : فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق اللّه ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىّ وتركت الذهب الذى أعطيتها ؛ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصّخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أُجراءَ وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد اللّه أدِّ إلىّ أجرى فقلت له : كل ما ترى من أجرك من الأبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد اللّه لا تستهزىء بى . فقلت لا أستهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » متفق عليه .

الغبوق : شرب العشى ، والصبوح : شرب الصبح .

ـ فى القصة استحباب الدعاء حال الكرب والتوسل بصالح الأعمال . وفيها : فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة . وفيها : فضل العفاف والإنكفاف عن المحرمات لا سيما عند القدرة عليها والهم بفعلها وترك ذلك لله خالصا ، وفيها فضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة فى المعاملة وإثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق ، وفيها فضل المحافظة والمداومة على خصلة خير .

٢ ـ كرامة خادم النبى ﷺ :

أخرج البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال : [دخل النبى ﷺ عند أم سليم : يعنى أمَّه ، فأتته بتمر وسمن ، فقال : أعيدوا سمنكم فى سقائه وتمركم فى وعائه فإنى صائم ، ثم قام إلى ناحية البيت يصلى غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت : يارسول اللّه إن لي خويّصة ، قال : وما هى ؟ قالت : خادمك أنس ، أدع اللّه له ، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لى به : اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له ، قال : فإنى لمن أكثر الأنصار مالا] وعنه قال : رزقت لصلبى سوى ولد ولدى خمسة وعشرين ومائة ، وإن أرضى لتثمر فى السنة مرتين . وكان ريحان بستانه يشم منه رائحة المسك . ومات

وقد جاوز المائة .

٣ ــ قتل مائه ودخل الجنة برحمة أرحم الراحمين :

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى اللّه عنهما أن نبى اللّه ﷺ قال :

كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمّل به مائة ،

ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومَن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناسا يعبدون اللّه تعالى فاعبد اللّه معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوْء ،

فانطلق حتى إذا نصَفَ الطريق أتاه الموتُ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى اللّه تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم : أى حكما فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة

الرحمة] متفق عليه .

وفي رواية في الصحيح : [فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها] .

وفي رواية في الصحيح : [فأوحى اللّه تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقرّبي ، وقال : قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له] .

وفي رواية : [فنأى بصدره نحوها] .

ومذهب أهل العلم وإجماعهم هو قبول توبة القاتل عمدا ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس رضي اللّه عنهما . وفيه فضل العلم على العبادة وفيه الإنقطاع عن إخوان السوء ومقاطعتهم ما داموا على حالهم واستبدال صحبة أهل الخير والعلم والصلاح والعبادة ومن يقتدى به وينتفع بصحبته لتتأكد بذلك توبته وتقوى أوبته فإن كل قرين يقتدى بقرينه . وأن من ألهمه اللّه صدق التوبة فقد سلك به طريق اللطف والقربة فإن الذنوب وإن عظمت فعفو الله أعظم منها . وفيه عناية السماء بأمة محمد ﷺ بحكاية قصص مَن قبلنا حتى نعتبر . وفيها أن من البلاد ما جعلها اللّه أرضا فيها يعبد وأرضا فيها يعصى . وفيها أن الملائكة جنود لله لهم قدرة على التشكل وأن اللّه أقام من شاء

منهم فيما شاء من اختصاص بأمر من أمور هذا العالم . وفيه أن الأشرار لا يزال فيهم الخير والرغبة فيه ، وأن الحكم على النفس فيما غلب عليها .

٤ ـ توبة شاعر رسول الله ﷺ التى كتب الله لها الخلود :

عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب رضى الله عنه من بنيه حين عمىَ قال سمعت كعب بن مالك رضى الله عنه يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط إلا فى غزوة تبوك غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يُعاتب أحداً تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها ، فكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، واللهِ ما جمعت قبلها راحلتين قط ، حتى جمعتهما فى تلك الغزوة . ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك

الغزوة فغزاها رسول اللّه ﷺ فى حرٍّ شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا ، واستقبل عددا كثيرا فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهْبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذى يريد ، والمسلمون مع رسول اللّه ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ ــ يريد بذلك الديوان ــ قال كعب : فقلّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى من اللّه تعالى ، وغزا رسول اللّه ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، فأنا إليها أصْعر فتجهّز رسول اللّه ﷺ والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكى أتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئا ، وأقول فى نفسى : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى استمرَّ بالناس الجِدّ ، فأصبح رسول اللّه ﷺ غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم فياليتنى فعلت ، ثم لم يقدر ذلك لى ، فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول اللّه ﷺ يحزننى أنى لا أرى لى أسوة إلا رجلا مغموصا عليه فى النفاق ، أو رجلا ممّن عذر اللّه تعالى من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول اللّه ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يارسول اللّه حبسه بُرداه

والنظر فى عطفيْه ، فقال له معاذ بن جبل رضى اللّه عنه : بئس ما قلت ، واللّه يارسول اللّه ما علمنا عليه إلا خيرا ؟ فسكت رسول اللّه ﷺ : فبينما هو على ذلك رأى رجلا مُبْيضا ، يزول به السراب ، فقال رسول اللّه ﷺ : كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصارى ، وهو الذى تصدّق بصاع التمر حين لمزه المنافقون ، قال كعب : فلما بلغنى أن رسول اللّه ﷺ قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بثى فطفقت أتذكر الكذب وأقول : بما أخرج من سخطه غدا ؟ وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ؟ فلما قيل : إن رسول اللّه ﷺ قد أظل قادما زاح عنى الباطل ، حتى عرفت أنى لم أنج منه بشىء أبدا فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول اللّه ﷺ قادما ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعا وثمانين رجلا ، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى اللّه تعالى حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال : تعال ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت يا رسول اللّه إنى واللّه لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيتُ جدلا ، ولكننى واللّه

لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكنّ اللّه يُسخطك علىّ ، وإن حدثتك حديث صدق تجد علىّ فيه إنى لأرجو فيه عقبى اللّه عز وجل ، واللّه ماكان لى من عذر واللّه ماكنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك ، قال : فقال رسول اللّه ﷺ : أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضىَ اللّه فيك ، وسار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى : واللّه ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا ، لقد عجزت فى أن لا تكون اعتذرت إلى رسول اللّه ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون . فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول اللّه ﷺ لك ، قال : فواللّه ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع إلى رسول اللّه ﷺ فأكذب نفسى ثم قلت لهم : هل لقى هذا معى من أحد ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قال : قلت من هما ؟ قالوا : مُرارة بن ربيعة العامرى ، وهلال بن أمية الواقفى ، قال : فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت : لى فيهما أسوة . قال : فمضيتُ حين ذكروهما لى ، ونهى رسول اللّه ﷺ عن كلامنا : أيها الثلاثة من بين مَنْ تخلف عنه . قال : فاجتنبنا الناس أو قال : تغيّروا لنا حتى تنكرتْ لى فى نفسى الأرض فما هى بالأرض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ،

وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول اللّه ﷺ فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : هل حرّك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلىّ وإذا التفتّ نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال علىّ ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى وأحب الناس إلىّ فسلمت عليه فواللّه ما ردّ علىّ السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك باللّه هل تعلمنى أحب اللّه ورسوله ﷺ ؟ فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال : اللّه ورسوله أعلم . ففاضت عيناى وتوليت حتى تسوّرت الجدار ، فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة إذا نبطى من نبط أهل الشام ممّن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلىّ حتى جاءنى فدفع إلىّ كتابا من ملك غسّان وكنت كاتبا فقرأته فإذا فيه : أما بعد : فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك اللّه بدار هوانٍ ولا مضيعة ، فالحقْ بنا نُواسك ، فقلت حين قرأتها : وهذه أيضا من البلاء ، فتيمّمْتُ بها التنور فسجرتها حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى إذا رسول اللهﷺ يأتينى فقال : إن رسول اللّه ﷺ يأمرك أن

تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال : لا ، بل اعتزلها فلا تقربنها ، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : إلحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي اللّه في هذا الأمر ، فجاءت إمرأة هلال بن أمية رسول اللّه ﷺ فقالت له : يارسول اللّه إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدُمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنك ، فقالت : إنه واللّه ما به حركة إلى شيء ، وواللّه ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى الآن . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول اللّه ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : لا أستئذن فيها رسول اللّه ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول اللّه ﷺ إذا استأذنته فيها ؟ وأنا رجل شاب . فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نُهي عن كلامنا ، ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر اللّه تعالى عنا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت إذ سمعت صوت صارخ أوْفى على سَلْع يقول بأعلى صوته : ياكعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج ، فآذن رسول اللّه ﷺ بتوبة اللّه عز وجل علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبيّ مبشرون وركض إليّ رجل

فرسـا ، وسعى ساع مـن أسلم قبـلى وأوفى عـلى الجبل ، فـكان الصـوت أسرع من الفـرس ، فلمـا جاءنى الـذى سمعت صـوته يبشـرنى نزعت له ثوبىّ فكسوتهمـا إياه ببشراه ، والله مـا أملك غيرهـما يومئـذ ، واستعرت ثوبين فـلبستهـمـا ، وانطلـقت أتأمّم رسول الـلّه ﷺ ، فتلـقانى النـاس فوجا فوجـا يهنئـوننى بالـتوبة، ويقولون لى : لتهنك توبة الله عـليك حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه يهرْول حتى صافـحنى وهنأنى ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ، فكان كعب لا ينساها لطلحة ، قال كعب : فلـما سلمـت على رسـول الله ﷺ قال وهـو يبـرق وجهـه من السرور : أبشـر بخير يوم مرّ علـيك منذ ولدتك أمـك ، فقلت : أمن عـندك يارسول الـلّه أم من عند الـلّه ؟ قال : لا ، بل من عـند الله عز وجل ، وكـان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعـة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلـما جلست بين يديه قلت : يـارسول الله إن من توبتى أن أنخلع مـن مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك فهـو خير لك ، فقلت : إنـى أمسك سهمى الذى بـخيبر ، وقلت : يارسول الـلّه إن الله تعالى إنما أنجانى بـالصدق ، وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما علمت أحدا من

المسلمين أبلاه الله تعالى فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى ، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله تعالى فيما بقى ، قال : فأنزل الله تعالى ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ قال كعب : والله ما أنعم الله علىّ من نعمة قط بعد إذ هدانى الله للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد ، فقال تعالى ﴿ **سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** ﴾ قال كعب : كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له

فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول اللّه ﷺ أمرنا حتى قضى اللّه تعالى فيه بذلك ، قال اللّه تعالـى ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلّفوا** ﴾ وليس الذى ذكر مما خلفنا تخلّفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه] رواه البخارى ومسلم .

ــ وفى القصة فوائد : منها إباحة الغنيمة لهذه الأمة إذ قال يريدون عيرا لقريش ، وفضيلة أهل بدر والعقبة ، والمبايعة مع الإمام ، وجواز الحلف من غير استحلاف وتورية المقصد إذا دعت إليه ضرورة ، والتأسف على ما فات من الخير ، وتمنى المتأسف عليه ، ورد الغيبة ، وهجران أهل البدع ، وأن للإمام أن يؤدب بعض أصحابه بإمساك الكلام عنه ، وترك من تاب للزوجة ، واستحباب صلاة القادم ، ودخوله المسجد أولا ، وتوجه الناس إليه عند قدومه ، والحكم بالظاهر وقبول المعاذير ، واستحباب البكاء على نفسه ، وأن مسارقة النظر فى الصلاة لا تبطلها ، وفضيلة الصدق ، وأن السلام ورده كلام ، وجواز دخول بستان صديقه بدون إذنه ، وأن الكناية لا يقع بها طلاق مالم ينوه وإيثار طاعة اللّه ورسوله على مودة القريب ، وخدمة المرأة لزوجها ، والإحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع فى منهى

عنه ، وجواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى إذا كان لمصلحة ، واستحباب التبشير عند تجدد النعمة واندفاع الكربة ، واجتماع الناس عند الإمام فى الأمور المهمة ، وسروره بما يسرّ أصحابه ، ومشاركة المسلمين وتعاطفهم فى مسراتهم ، والحزم والطاعة لإمامهم . ومسارعة أهل الخير فى إدخال السرور على الإخوان ، وعمق التأثر النفسى بدقائق المواقف حيث لم ينس كعب تعبير أخيه طلحة بالقيام له والتعبير عن شعوره ، وجواز الحديث عن فضائل النفس للتعليم عند اندفاع العجب ، والتصدق بشىء عند ارتفاع الحزن ، والنهى عن التصدق بكل المال عند خوف عدم الصبر ، وإجازة البشير بخلعة ، وجواز عارية الثياب ومصافحة القادم والقيام له ، واستحباب سجدة الشكر ، التزام مداومة الخير الذى انتفع به .

٥ ــ توبة امرأة كالشهادة فى سبيل الله . « من الحضيض إلى درجة الشهيد » :

عن عمران بن حصين رضى الله عنهما « أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبْلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله أصبت حدّا فأقمه علىّ ، فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال : أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتنى بها ، ففعل ، فأمر بها نبى

اللّه ﷺ فشدّت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها ، فقال عمر : تصلى عليها يارسول اللّه وقد زنت ؟ فقال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها للّه عز وجل ؟ » رواه مسلم

ـ اسم الغامدية : سبيعة بنت فرج وقيل إنها جاءت بعد ولادتها بالطفل لينفذ فيها الرجم فردها النبى ﷺ حتى يفطم الطفل فجاءت به متعجلة لفطامه بعد ذلك وقد أمسك الطفل كِسْرة خبز لتدل على استغنائه عنها حرصا منها على قبول التوبة وإنما لم تقنع بالتوبة مع أنها محصلة لغرضها من سقوط الإثم بل اختارت الرجم لأن حصول البراءة به وسقوط الإثم متيقّن على حال ، وأما التوبة فتخشى ألا تكون نصوحا . وفى الحديث بيان عظم التوبة وأنها تجب الذنب وتلحق التائب بمن لم يقترف شيئا من الذنوب وتكون سببا لحوزة أنواع الفضل . وأنها جادت بنفسها للّه كالشهيد . وأن المجتمع إذا طهر راقب كل فرد نفسه بتقوى اللّه دون حاجة لرقيب . وأن ولى الأمر لم يتعجل العقوبة ، وأن الإحسان إلى من أساء مرعى فى مجتمع المسلمين . وأن الذى يبغض فى المجتمع المعصية وليس العاصى . وأن اقتراف

المعصية لاينافي الإيمان .

٦ ـ قصة صَبِيٍّ قام بأعمال نبيٍّ :

عن صهيب رضي اللّه عنه : أن رسول اللّه ﷺ قال : كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاما يعلمه ، وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه ، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو على ذلك إذْ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم : الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال : اللّهم إن كان أمر الراهب أحَبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أيْ بُنيّ أنت اليوم أفضل منّي ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل عليّ ، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليسُ للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ها هنا لك إن أنت شفيتني ،

قال : إني لا أشفى أحـدا ، إنما يشفى اللّه تعالى ، فـإن آمنت باللّه تعالى دعوت اللّه فشفاك فآمن باللّه تـعالى فشفاه اللّه تعالى ، فأتى الملـك فجلـس إليـه كما كـان يجلـس ، فقـال له الملـك : من ردّ عليك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : أو لك ربّ غيرى ؟ قالَ : ربى وربك اللّه ، فأخذه فلم يزل يعذبـه حتى دلّ على الغلام ، فجىء بالـغلام فقـال له المـلك : أى بنـىّ قد بلـغ من سـحرك ما تـبرىء الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعـل ؟ فقال : إني لا أشفى أحدا إنما يشفى اللّه تعالى ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب ، فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عـن دينك ، فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فـشقه به حتى وقع شقّاه ، ثم جىء بجليس الملـك فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبـى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نـفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبـل كذا وكذا فاصعدوا بـه الجبل ، فإذا بلغـتم ذرْوته فإن رجع عن دينـه وإلا فاطرحوه ، فذهبـوا به فصعدوا الجبـل فقال : اللـهم اكفيـنهم بما شـئت ، فرجـف بهم الجبـل فسقطـوا ، وجاء يمشـى إلى الملـك ، فقـال له الملك : ما فعـل أصحـابك ؟ فقال : كفانيهم اللّه تعالى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا

فاقذفوه ، فذهبوا به فقال : اللّهم اكفينهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم اللّه تعالى ، فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، قال : ما هو ؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد ، وتصلبنى على جذع ، ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم اللّه رب الغلام ثم ارم ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال : بسم اللّه رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغة ، فوضع يده فى صدغه فمات . فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فأُتِىَ الملك فقيل له أرأيت ماكنت تحذر !! قد واللّه نزل بك حِذْرك قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأُضرم فيها النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ، أو قيل له اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبىّ لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمّهْ اصبرى فإنك على الحق] رواه مسلم

ـ ذروة الجبل أعلاه ، والقرقور نوع من السفن ، والصعيد الأرض البارزة ، والأخدود : الشقوق فى الأرض ، وأضرم

النار : أوقدها ، وتقاعست أى توقفت وجبنت . واسم الغلام عبد الله بن تامر . والملك كان بنجران جنوب الجزيرة العربية . والدابة التى حبست الناس أسد منعهم من المرور لخوفهم منه . والأكمهُ من وُلد أعمى ، وأفواه السكك أى أبواب الطرق . وفى الحديث : بيان شرف الصبر وأنه وإن عظم فى الألم وتحمل السدائد فهو سهل فى جنب ما أعد لصاحبه من الثواب ، وفيه فضل الثبات على الدين وإن عذب بأنواع العذاب كما وقع للمسلمين فى أول الإسلام وعهود الظلم وإن كان يجوز فى مثل هذه الحالة الإتيان بألفاظ الكفر مع الإيمان القلبى لعذر الإكراه كما وقع من عمار بن ياسر رضى الله عنهما إلا أن ما وقع من بلال رضى الله عنه أفضل فأحدهما أخذ برخصة الله والثانى صدع بالحق فهنيئا له . وفيه جواز التورية ، وإثبات كرامات الأولياء ، وأن ثبات طفل أمام ظالم يزلزله ويحيره . وفيه أن الإخلاص لله مع الزهد فى الدنيا يورث ولاية الله تعالى . وفيه فقه الداعى إلى الله واستخدام كل متاح وكل حال للدعوة إلى الله . وفيه تأثير الحال بأبلغ من المقال على الجماهير . وفيه أن أعوان الظلمة يهلكهم الله مثل الظالمين . وفيه تحمل أهل الحق ووجوب الصبر على الأذى ولو بهلاك الكثير والنساء والأطفال .

٧ ـ تواضع النبى مع أم الصبى :

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس رضى اللّه عنه ما معناه :

مرّ النبى ﷺ على امرأة تبكى على صبى لها عند قبره فكان فى بكائها قدر زائد من النوح فقال لها : يا أمة اللّه اتق اللّه واصبرى فقالت له وهى لا تعرفه : إليك عنى أى تنحّ وابعد فإنك لم تصب بمصيبتى وقالت : ياعبد اللّه إنى الحراء الثكلى ولو كنت مصابا لعذرتنى فمرّ بها الفضل بن العباس رضى اللّه عنهما فقال لها : هل تعرفينه ؟ قالت : لا . فقال لها : إنه النبى ﷺ فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذى أصابها لما عرفت أنه رسول اللّه ﷺ حياء منه ومهابة فأتت باب النبى ﷺ وهى تهابه فلم تجد بوابين عنده حيث تصورت إنه مثل ملوك الدنيا فوجدت الأمر بخلاف خوفها وتوهمها فقالت للنبى ﷺ : واللّه ما عرفتك فقال لها ﷺ « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » أى عند مفاجأة المصيبة يحمد الصبر كل الحمد فلا يفوت الثواب الجزيل . وفيه تواضع النبى ﷺ وتفقده أحوال المجتمع . وفيه جواز زيارة النساء للمقابر . ومخالطتهم الرجال والحديث معهم والحديث معهم مع التستر . وفيه الرحمة بالصغير والجاهل وتعليمه والنصح من المسلمين وقبول العذر ، وأن إنكار المنكر يكفى فيه البيان

باللسان .

٨ ـ امرأة من أهل الجنة تمشى على الأرض :

وروى البخارى ومسلم عن عطاء رحمه اللّه قال : قال لى عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنهما ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فقلت : بلى ، قال هذه المرأة السوداء ، واسمها سعيرة الأسدية رضى اللّه عنها ، أتت النبى ﷺ طالبة منه الدعاء مخبرة عما نزل بها من غير تبرم ولا تضجر فقالت : إنى أُصْرع وإنى أتكشف ، أى مصابه بمرض الصرع وينكشف بعض بدنى عندما أصرع ، فادع اللّه تعالى لى ، قال ﷺ لها : « إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت اللّه تعالى أن يعافيك » فدلها على حكمة اللّه وأن جزيل الثواب فى اختيار الصبر على البلاء ، وأن البلاء وثوابة يرتفع عنها ببركة دعائه ﷺ إن شاءت ذلك ، فقالت : أصبر . وقالت : إنى أتكشف فادع اللّه لى أن لا أتكشف فدعا لها ﷺ بأن لا تتكشف إذا صرعت . فاختارت البلاء فى حقها تصديقا بالوعد الكريم وطلبت ألا ينكشف من بدنها شيئا لأن ذلك حق اللّه العظيم برغم أنها غير مسئولة عنه لمرضها وصرعها ولكنها مؤمنه تعلم أن الستر لعورتها دين حتى

ولو فى غير وعيها فهو مطلبها من نبيها ﷺ حتى تدخل جنة ربها . بتصرف عن رواية البخارى ومسلم

ـ كنية هذه الصحابية أم زُفَر رضى الله عنها . وعطاء هو بن رباح العالم التابعى فقيه من الأعلام ومفسر أحد تلامذة ابن عباس رضى الله عنهما . وفيه قوة دين امرأة اختارت صبر ساعة وسعادة الأبد . وفيه أن اختيار البلاء مع الصبر عليه لا ينافى طلب العافية ، وفيه أن بعض نساء الصحابة بشر بالجنة وبلغ منزلة طمع فيها الرجال . وأن سواد المرأة ومرضها لايمنعها من القرب من ربها .

٩ ـــ امرأة لها من قوة القلب وثبات الجنان ما يفوق التصور عند فقد الولدان :

هذه المرأة هى أم سليم رضى الله عنها وإسمها سهلة وقيل رُميثة ومليكة والغميصاء ، والرميصاء كانت تشهد الحرب مع النبى ﷺ وتداوى الجرحى : وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ تزوجت من أبى طلحة رضى الله عنه واسمه زيد بن سهل الأنصارى فارس رسول الله ﷺ واشترطت اسلامه لترضى به زوجا فأسلم وتزوجها فولدت غلاما صبيحا فكان أبو طلحة يحبه حبا شديدا رآه رسول الله ﷺ يلعب بعصفور صغير فكان

يداعبه كلما رآه ويقول له : « يا أبا عمير ما فعل النّغير » فعاش حتى تحرك ثم مرض فحزن عليه أبوه أبو طلحة حزنا شديدا فخرج أبو طلحة إلى النبى ﷺ فمات الصبى فأمرت أم سليم أنساً أن يدعو أبا طلحة وألا يخبره بموت إبنه فلما رجع أبو طلحة إلى بيته وكان صائما ، وكانت أم سليم قد أمرت أهلها أن يدفنوا الصبى ولا يخبروا أبا طلحة حتى تكون هى التى تخبره ، فسألها أبو طلحة ما فعل إبنى ؟ قالت أم سليم وهى أم الصبى : هو أسْكن ما كان ، فظن أبو طلحة أنها أرادت أنه أسكن من الألم لحصول العافية له فقربت إليه العشاء فأكل وشرب دون أن يتنغّص عليه عيشه وهو صائم ، ثم تصنّعت له أحسن ما كانت تصنّع قبل ذلك وذلك بأن تهيأت له بكل زينة من حليّ وغيره بسبب كمال يقينها وقوة صبرها وحرصها على حسن معاشرتها لزوجها فوقع بها أى جامعها فلما فرغ من حاجته ورأت أنه قد شبع من الطعام وأصاب منها بالجماع قالت له منبهة له على أنه لا ينبغى له الحزن على موت ولده : يا أبا طلحة : أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال أبو طلحة : لا . أى أن المعير المالك له استرداد عاريته متى شاء دون اعتراض من غير المالك المستعير . عند ذلك قالت له أم سليم : فاحتسب ابنك . أى اطلب ثواب وأجر مصيبة موت ابنك من اللّه المالك فقد

استرد وديعته عندك ، فغضب أبو طلحة من أم سليم بحكم الدواعى البشرية وقال لها : تركتنى حتى إذا تلطخت ثم أخبرتنى بابنى !! أى جعلتنى أجامعك وابنى ميت ثم انطلق أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فأخبره بصنيع أم سليم الدال على كمال يقينها وحسن صبرها مما يعجز عنه كثير من الرجال ، فقال رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما فى ليلتكما » فحملت أم سليم من تلك الليلة إجابة لدعائه ﷺ بالبركة . قال أنس بن مالك رضى الله عنه وهو أخو الصبى من أمه أم سليم وفى سفر من أسفار رسول الله ﷺ ومعه أبو طلحة وزوجة أم سليم وهى حامل متم من تلك الليلة فدنوا من المدينة فضربها المخاض أى وجع الولادة فاحتبس عليها زوجها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ فى مسيره إلى المدينة فقال أبو طلحة متوجها إلى ربه السميع العليم : إنك لتعلم يارب أنه يعجبنى أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج من المدينة لسفر وأدخل معه المدينة إذا دخل ، وقد احتبست ومنعت من الدخول معه بما ترى أى مما نزل بأم سليم . فأجاب الله دعوته وكشف كربته . يقول أنس فقالت أم سليم . عند ذلك : يا أبا طلحة ما أجد الذى كنت أجد من ألم الوضع . فانطلقوا جميعا فدخلوا المدينة مع رسول الله ﷺ فضربها المخاض حين قدموا المدينة فولدت غلاما فقالت أم سليم : يا أنس لا

يرضعه أحد حتى تغدوا به على رسول اللّه ﷺ وأرسلت معه تمرات ليحنكه رسول اللّه ﷺ فيكون أول شيء يشق جوف المولود ويدخل أمعاءه شيء حلو ممزوج بريق المصطفى ﷺ ، والتحنيك بالتمر تفاؤل بالإيمان لحلاوتها ولأنها ثمرة الشجرة التي شبهها رسول اللّه ﷺ بالمؤمن . فسأل رسول اللّه ﷺ أنسا فقال : أمعه شيء ؟ قال : نعم ، فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذها من فمه الشريف فجعلها في فم الصبي ثم حنكه وسمّاه عبد اللّه ، قال سفيان بن عيينه رحمه اللّه فقال رجل من الأنصار رضي اللّه عنه فرأيت تسعة أولاد كلهم قد حفظ القرآن من أولاد عبد اللّه المولود الذي دعا له النبي ﷺ بالبركة .

ـ هذه القصة رواها البخاري ومسلم وغيرهما . وفي هذه القصة فوائد : جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها ، والتسلية عن المصائب وتزين المرأة لزوجها ، وتعرضها لطلب الجماع منه ، واجتهادها في عمل مصالحة ، ومشروعية المعاريض الموهمة إذا دعت الضروة إليها ولم يترتب عليها إبطال حق مسلم ، والحامل لأم سليم رضي اللّه عنها على ذلك المبالغة في الصبر والتسليم لأمر اللّه تعالى ورجاء إخلافة عليها ما فات منها فلما علم اللّه تعالى صدق نيتها بلغها مناها وأصلح لها

ذريتهـا ، وفيها إجـابة دعوة النبى ﷺ ، وأن من تـرك شيـئا لـله عوّضـه اللّه خيـرا منه ، وفـيها مـشروعـية سفـر المرأة مع زوجـها المجاهـد وأن الحوامل كن يـسافرن سفـرالجهاد . وفيـه سنة تحنيك المولـود من أحد الـصالحين . وفـيه احتـباس الرجـل على زوجـته المريضه وترك السفر مع رسول اللّه ﷺ . وفيه أن مداعبة الصغير سنة ورحمة .

١٠ ــ فتى موسى عليهما السلام وصدقه فى الجهاد :

روى أبو هريرة رضى الـلّه عنه هذه القصة التى سـمعها من النبى ﷺ وحديثه ﷺ فى البـخارى ومسلـم عبارة أن نبـى اللّه يوشع ابن نون وهو فتى موسى عليهما السلام والنبى لبنى اسرائيل بعده حاصر قرية هى أريحاء فى فلسطين جهادا فى سبيل اللّه مع سبعين ألفا من قومه كان قد اشترط على من يخرج معه فى الجهاد أمورا منها : قال لـقومه لا يتبعنى فى الخروج لـلحرب رجل ملك بضع إمرأة وهو يريد أن يبنى بها ولمّا يبْن بها ، أى عقد عليها عقد الزواج ولم يدخل بـها ، والثانى من الشروط : ولا أحد بـنى بيوتا لم يرفـع سقوفهـا أى لم يستـكمل البـناء ، والشرط الـثالث : ولا أحد اشترى غنما أو إبلا وهو ينتظر أولادها ، قال القرطبى : نهى النـبى قـومه عن اتـباعه عـلى أحـد هذه الأحوال لأن أصـحابـها

يكونون متعلقى النفوس بهذه الأسباب فتضعف عزائمهم وتفتر رغباتهم فى الجهاد والشهادة وربما يؤدى إلى كراهية الجهاد وأعمال الخير ومقصود هذا النبى عليه السلام تفرغهم من العوائق والاشتغال بتمنى الشهادة بنية صادقة وعزم حازم .

فغزا النبى ومعه سبعون ألفا على شروطه حتى اقترب من مدينة أريحاء قريبا من صلاة العصر فقال هذا النبى عليه السلام للشمس وقد آذنت بغروب : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللّهم احبسها علينا فحبست حتى فتح اللّه عليه المدينة ، أى أن هذا النبى عليه السلام لثقته بربّه ولعلمه بمهمته وفرضه فى الجهاد خاطب الشمس قائلا : أنت الشمس التى خلقها اللّه مسخرة بأمره عز وجل وأنا خلق من خلق اللّه مسخر لعبادته بأمر تكليفى وتوجه إلى اللهّ بعد هذا اليقين طالبا منه أن تقف الشمس حتى يتأخر الليل فيتمكنون من فتح المدينة وقهر أعداء اللّه تعالى فكانت معجزة هذا النبى أن حبست الشمس بأمر ألله تعالى حتى فتح الله عليه البلاد وجمع الغنائم التى أخذها من العدو وكانت الشرائع السماوية قبل شريعة النبى محمد ﷺ لا تحل امتلاكها لهم بل يقدمونها قربة للّه شكرا على نزول نصر اللّه عليهم ، وكانت العبادة عندهم أن يجمعوا الغنائم ويتركوها فتنزل نار

بقدرة الله تعالى فتأكل وتلتهم هذه الغنائم مما يعنى قبولها منهم وعدم الغلول فيها ، أى عدم إخفاء شىء من الغنائم بنية تملكها ، فجاءت النار لتأكل الغنائم فلم تطعمها فعلم يوشع النبى عليه السلام أن فى جنودة خيانة فى المغنم فقال لهم : إن فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل وذلك لعسر مبايعة كل واحد واحد لكثرتهم ، فوضع يده فى يد رجل من كل قبيلة منهم فلزقت يد رجل منهم بيده إعلاما بأنه ممّن غل قومه فقال لهذه القبيلة : إن فيكم الغلول فليبايعنى كل فرد منكم ، فوضع يده بيد كل رجل من تلك القبيلة فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده وكانت علامة الغلول عندهم التصاق يد الغالّ بيده فقال النبى عليه السلام عندكم الغلول فجاءوا بمثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فى جملة الغنائم فجاءت النارفأكلتها . قال رسول اللّه ﷺ بعد حكاية القصة : « فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل اللّه لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » متفق عليه ، وفيه أن الجهاد صِدقُة التخلّى عن حظوظ النفس ، وأن الخلّص من مجاهدى بنى اسرائيل لم يتخلصوا من حب الذهب والمال . وأن أمه النبى ﷺ رغم ضعفها فهى مرحومة من اللّه تعالى . وأن الجهاد فى سبيل الله فرض قديم كتبه اللّه على العباد . وأن النصر وفتح البلاد يحتاج للصدق فى الجهاد .

١١ ـ معلم الأنبياء عليه السلام يجلس متعلما بين يدى النبى ﷺ :

يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه بينما نحن جلوس عند رسول اللّه ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل أى فجأة فى هيئة تعجبنا لها حيث يلبس ثيابا بيضاء شديدة البياض وشعره أسود نظيفا شديد السواد لايظهر عليه أنه جاء من سفر وفى ذات الوقت ليس من أهل المدينة حيث لا يعرفه منا أحد ، فقال : السلام عليكم يامحمد ، فرد عليه النبى ﷺ السلام ، فقال : أدنو يا محمد ؟ أى أتسمح لى بأن أقترب من مجلسك ؟ قال له النبى ﷺ : ادنه ، فما زال يقول : : أدنو ، مرارا ، ويقول له النبى ﷺ إدنه حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبة النبى ﷺ زيادة فى التقريب ثم وضع كفيه على فخذى نفسه فى هيئة حسن الأدب الظاهر فى جلسة المتعلم بين يدى المعلم وقال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول اللّه ﷺ : « أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » فقال له هذا السائل : صدقت . قال عمر رضى اللّه عنه : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، إذ السؤال يدل على عدم علم السائل

والتصديق يدل على علمه . قال عمر رضى اللّه عنه قال هذا السائل للنبى ﷺ : فأخبرنى عن الإيمان ؟ قال النبى ﷺ : « أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه ، قال : صدقت : فأخبرنى عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : صدقت قال : فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ثم انطلق هذا السائل فأدبر فقال النبى ﷺ للجالسين معه : « ردّوه ، فأخذوا يردّونه فلم يجدوا شيئا فقال النبى ﷺ : ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت اللّه ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » وقد كان جبريل عليه السلام يتمثل للنبى ﷺ فى صورة دحية الكلبى الصحابى رضى اللّه عنه وفى صور بشرية أخرى مثل هذا المرة ، ولم يره النبى ﷺ على صورته الأصلية غير مرتين فى أول بعثته ﷺ وليلة الإسراء والمعراج .

– ومعنى أمارات الساعة أى أشراطها وعلامتها الدالة على

اقترابها ومعنى أن تلد الأمة ربتها علامة على كثرة السرارى لاستيلاء المسلمين على بلاد الكفرة فتلد السريّة بنتا أو إبنا لسيدها فيكون ولدها وابنها سيدها كأبيه . ومعنى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة أى الفقراء رعاة الغنم يتطاولون فى البنيان لإسناد الأمر لغير أهله وصيرورة الأسافل كالملوك وتنقلب أحوال الناس حيث توضع الأخيار وترفع الأشرار كما جاء فى الحديث الصحيح ومثله الحديث الصحيح : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » أى لئيم ابن لئيم . وهذه القصة فى تعليم الدين رواها البخارى ومسلم وغيرهما . وفيها أن العلم بالتلقى وأن له آداب تعرف وأن الدين يُتعلم . وأن الملائكة تمثل أدوار بشرية ليفهم عنها . وأن التمثيل جائز لغرض دينى ومصلحة . وجواز أن يسأل من يعلم المسألة ليخبر غيره . وأن العالم مهما بلغ علمه عليه أن يقول لا أعلم .

١٢ ــ فإنما ابتليتم فقد رَضى اللّه عنك وسخط على صاحبيْك :

« عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول إن ثلاثة من بنى إسرائيل ، أى أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات اللّه عليهم أراد اللّه تعالى أن يختبرهم ونبينا محمد ﷺ يقص علينا شأنهم مما أوحى إليه ربه عبرة لنا ، أحد هؤلاء الثلاثة

أبرص والثانى أقرع والثالث أعمى ، فبعث اللّه تعالى إليهم ملكا من ملائكته فى صورة إنسان فجاء إلى الأبرص أولا فقال له : أى شىء أحب إليك ؟ ولأن داءه قبيح وشنيع ولونه منفّر لم يتمالك إلا أن أجاب : أحب شىء إلى لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الداء الذى قد قذرنى الناس فتباعدوا عنى . فأمَّر عليه الملك يده فمسحه فذهب عنه فى الحال البرص الذى كان به ، وأعطى لونا حسنا وجلدا حسناً ، ثم سأله الملك ثانيا : فأى المال أحب إليك ؟ قال الرجل : أحب المال إلى هو الإبل . فأعُطى ناقةً عُشَراءَ فقال له الملك : بارك اللّه لك فيها . كل ذلك حدث معجزة تدل على قدرة اللّه تعالى الذى لا ينسى فضله ، ثم تركه الملك فأتى الأقرع فى صورة إنسان أيضا فقال له : أي شىء أحب إليك قال الرجل الأقرع : أحب شىء إلىَّ شعر حسن ويذهب عنى هذا الداء الذى قد قذرنى الناس بسببه ، فأمرّ عليه الملك يده فمسحه فذهب عنه داء القرع وأعطى شعرا حسنا فى الحال ، فقال له الملك فأى المال أحب إليك ؟ قال الرجل أحب أنواع المال عندى هو البقر . فأعطى فى الحال بقرةً حاملا وقال له الملك : بارك اللّه لك فيها . ثم أتى الملك وهو فى صورة إنسان إلى الأعمى فقال له : أى شىء أحب إليك ؟ قال وقد تذكر اللّه : أحب شىء إلى أن يردّ اللّه إلىَّ بصرى فأبصر به الناس . فأمرّ

الملك يده على عينيه فردّ اللّه تعالى إليه بصره فأبصر فى الحال بعينى رأسه . فقال له الملك : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الغنم أحبه إلى . فأعطى فى الحال شاةً والدا أى ذات حمل . ثم كان من أمرهم بعد ذلك أن أنتج صاحب الإبل ، وأنتج صاحب البقر ، وولّد صاحب الغنم حتى صار للأول وادٍ مملوء بالإبل وصار للثانى وادٍ مملوء بالبقر ، وصار للثالث وادٍ مملوء بالغنم ببركة دعاء الملك وعند ذلك أرسل اللّه الملك إلى الأول فى صورته التي كان عليها وهو أبرص وهيئته من رزالة الملبس فقال له : أنا رجل كما ترى مسكين محتاج قد انقطعت بى أسباب الرزق فى سفرى فلا وصول لى إلى بلدى وما أريده اليوم إلا باللّه ثم بك لما يجرى على يديك من الخير ، فأقسم عليك مستعطفا باللّه الذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أن تعطينى بعيرا واحدا أتبلّغ به وأكتفى به فى سفرى . وأراد بصورته كأبرص مسكين وبسؤاله أن يذكره حاله الأول فيذكر نعم اللّه عليه ، ولكنه ردّ عليه فقال : الحقوق كثيرة فلا زيادة عندى فأعطيك . فعند ذلك ذكره بحاله فقال له كأنّى أعرفك ، ألم تكن أبرص تقذرك الناس فعافاك اللّه تعالى وكنت فقيرا محتاجا فأعطاك اللّه ؟ فأنكر وقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، أى أجدادى فى العز والشرف ورثه أحدهم عن الآخر ، وحمله

البخل على كفر النعم والكذب . ففى الحال قال له الملك : إن كنت كاذبا فى دعواك فصيّرك الله إلى ما كنت . وفى الحال صيرّه المبدىء المعيد الفعال لمايريد المعز المذل إلى أرذل حال كان عليه . ثم أتى الملك إلى الثانى الذى كان أقرع فى صورته وهيئته التى كان يقذرها الناس ويحقرونها فقال له الملك مثل ما قال للأبرص فردّ الأقرع على الملك بمثل ماردّ الأبرص فقال له الملك : إن كنت كاذبا فصيّرك الله تعالى إلى ما كنت أى من القرع والفقر فكان من شأن الله تعالى مايكون . ثم أتى الأعمى فى صورته وهيئته أى فى صورة إنسان أعمى فقير وقال له : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الأسباب فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى ردّ عليك بصرك أن تعطينى شاةً أتبلّغ بها فى سفرى . فقال ذلك الرجل وقد ذكّره السائل نعم الله تعالى عليه وحسن حاله بعد بؤسه . نعم كنت أعمى فردّ الله إلىّ بصرى ، فأمامك أيها السائل مالى كله فخُذ ما شئت منه ودع ما شئت فوالله لا أشق عليك اليوم فى ردّ أى شىء أخذته لله عز وجل وعند ذلك قال الملك له : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك .

وهذه القصة رواها البخارى ومسلم عن سيد الخلق ﷺ وكتبناها بتصرف قليل . وفيها من الحكم والأسرار منها أن العليم

بجميع الأمور يعامل الخلق معاملة المبتلى المختبر ليترتب على عملهم آثار جعلها الله مرتبة على ما يبدو فى عالم الشهادة لا على ما سبق فى علمه . وفيها أن نسيان حاله أيام صغره وفقره من جحد النعم وأن حق العبد ألاّ يزال لنعم مولاه شاكرا ولأحواله التى كان عليها وآل إليها ذاكرا . ومنها أن البخل جحد للنعمة ومؤدى للكذب وسخط اللّه تعالى . ومنها أنه شتان بين السعيد والشقى واللئيم والكريم فهذا الأبرص للؤمه وغباوته رغم أن الملك جاءه فى صورته وهيئته تفاخر وتكبر وكذب وتجبر وقال الحقوق كثيرة وبين هذا الأعمى الذى أبصر فاعترف بنعم اللّه واتعظ وتذكر فحظى بالرضا الأكبر . وفيها أن البدايات تتعلق بالنهايات فهذا الأعمى من البداية قد ذكر اللّه فقال « أن يرد اللّه إلىّ بصرى » وفيها إثبات تمثيل الملائكة لأدوار بشرية غير حقيقية ولا يعدّ ذلك كذبا توصلا لبيان مقصد دينى .

١٣ ـ شجاعة النبى ﷺ والسيف على رقبته :

روى سيدنا جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنهما أنه كان مع النبى ﷺ راجعين من غزوة ذات الرقاع لحرب قبائل بنى محارب قبل نجد وكان ذلك فى السنة السادسة من هجرته ﷺ فأدركتهم القائلة أى النوم فى الظهيرة فنزل رسول اللّه ﷺ

وتفرق الناس عنه يستظلون بالشجر حيث نزلوا فى واد كثير العضاة أى الشجر الذى له شوك فأتينا على سمرة أى شجرة ظليلة فتركناها لرسول اللّه ﷺ فعلق بها سيفه ونمنا نومه فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابى وهذا الأعرابى من بنى محارب الذى خرج رسول اللّه ﷺ لحربهم واسمه غورث بن الحارث كان عاهد قومه على الفتك برسول اللّه ﷺ وكان فاتكا من فتاك العرب . فقال لنا رسول اللّه ﷺ والأعرابى جالس بجانبه : أن هذا اخترط علىّ سيفى وأنا نائم ، أى أخذه بسرعة وسله وهو فى يده مسلولا ، وقال لى : هل تخافنى ؟ فقلت : لا ، قال : من يمنعك منّى ؟ قلت : اللّه ، قال : من يمنعك منى ؟ قلت : اللّه ، قال : من يمنعك منى ؟ قلت : اللّه فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول اللّه ﷺ السيف وقال للأعرابى : من يمنعك منى ؟ أى من البشر ، فقال الأعرابى متوسلا : كن خير آخذ ، أى بأن تعفو وتصفح وتقابل السيئة بالحسنة فقال له رسول اللهّ ﷺ : تشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأنى رسول اللّه ؟ قال الأعرابى : لا ولكنى أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فمنّ عليه رسول اللّه ﷺ فخلّى سبيله ولم يعاقبه فجلس بجوار النبى ﷺ ثم أسلم وأتى أصحابه فقال لهم : جئتكم من عند خير الناس .

فى هذه القصة تظهر بساطة حياة المسلمين وشجاعة رسولنا الكريم ﷺ . وفيها أسلوب نتعلمه من معلم الدعاة إلى اللّه كيف نحسن إلى من أساء ونستخرج الضغينة من الأعداء . وأن الإسلام يقبله المعروض عليهم باختيارهم وليس تحت التهديد بالسيف وفيها الوفاء بالعهود . وفيها وفاء وصدق الأعراب حتى فى حروبهم مقابل وفاء وصدق المسلمين وفيها العفو عند المقدرة وأنه أفضل من القصاص . وفيها قوة اليقين باللّه والتوكل عليه وأنه نافع لصاحبه وأفضل من تدبيره لنفسه . وفيه عصمة النبى ﷺ من الناس حتى يبلغ رسالة ربه . وفيه أن الموقف السليم للداعى إلى اللّه يجعل الفاتك المبغض داع محب . وفيها أن الخير لا يبلى وأنه يؤثر فى المدعوين إلى الخير .

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٩٦٧ / ١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N 977 - 00 - 1885 - 6

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : DWFA UN ٢٤٠٠٤